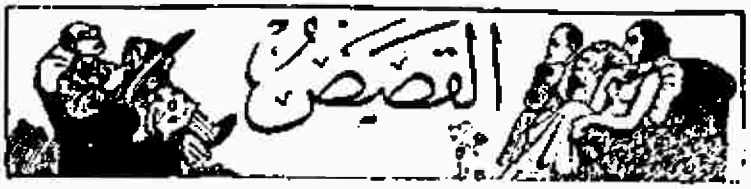

صـــــديقان حميمان

للأديب الروسي لويجي بيرانديللو

كان جيجي ميار ينتظر مركبة الترام لتقله كالمعتاد إلى طريق باستريني حيث مقر عمله وكان متذمراً بعطفه ذلك الصباح ، وقد وضع منديله على أنفه ، ويديه في قفاز انجليزي صفيق فإن المرء إذا ما جاوز الأربعين ، فإن ريح الشمال لا تعد مزاحا .

إن كل امرىء يعرف أن مركبة الترام ان تقبل بأية حال إذا كان في انتظارها . فإما أن تتعطل في منتصف الطريق لانقطاع التيار الكهربائي ، أو تختار مركبة تمر عليها ، أو شخصاً ما ، لحظ تدهمه تحت عجلاتها . وكانت ريح الشمال الباردة تهب بشدة في ذلك الصباح . وجعل جيجي ميار يرفع رجلا وينزل أخرى ، وهو يراقب النهر وقد بدا كأن السكين يشعر بالبرد القارص أيضاً .

وأخيراً أقبلت مركبة الترام تدندن ، وأخذ جيجي يستعد للقفز فيها وهي سائرة دون أن تقف ، عند ما سمع صوتاً آتياً من بوات — كافور ينادي « جيجي ، أيها الصديق العزيز ، جيجي » فالتفت فرأى سيباً بهرول قاصداً نحوه ، بلوح بذراعين كأنهما عمودا التلغراف . وفي تلك الآونة ابتعدت مركبة الترام . وكان عزاء جيجي على ابتعادها أن وجد نفسه بين ذراعي السيد الغريب الذي لا بد أن يكون صديقاً حميماً له ، إذا حكم على ذلك من عنف القبلتين اللتين طبعهما الرجل على المنديل الحريري الذي يغطي وجهه

وقال الرجل — أتعلم أني عرفتك في الحال ، أيها العزيز ؟ ! ألا تخجل من نفسك ؟ أعطنا قبلة يا عزيزي لجوفك هذه السن . إنك تبدو وكأنك كنت واقفاً في انتظاري . وعند ما شاهدتك تمد ذراعك لتتعلق بمركبة الترام اللعينة قلت لنفسي « هذه خيانة محض خيانة » . فقال ميار وقد ملت شفتيه ابتسامة منتصبة — نعم ، كنت ذاهباً إلى المكتب .

— أرجوك ، لا تحدثني عن مثل هذه الأشياء المنفرة .

— لماذا ؟ — إني أعني ذلك . في الواقع ألح .

— أنت شخص غريب الأطوار أتعرف ؟

— نعم أعرف . ولكن خبرني ، إنك لم تكن متوقعاً رؤيتي ، أليس كذلك ؟ إنه يبدو في وجهك .

— حسن ، كلا ... في الواقع .

— لقد وصلت مساء أمس . وأخوك يرسل إليك تحياته.

وهو — على فكرة ، سأجعلك تضحك — لقد أراد أن يبعث إليك بكتاب يقدمني فيه إليك ! — فقلت « ماذا ! كتاب تبعث به إلى جيجي الصغير ؟ ألا تعلم أني أعرفه قبل أن تعرفه أنت ؟ نحن صديقان منذ الطفولة ، ورفيقان في الدراسة الجامعية ألا تذكر بادوا القديمة الشهيرة ؟ وذلك الناقوس الضخم الذي لم تكن تسمه مطلقاً ؟ لقد كنت تنام مثل — مثل — ماذا أقول — مثل الوعبة ! أظن كان يجب أن أقول ، كالخنزير . حسن ... وعند ما سمعته — مرة واحدة — حسبته إنذار حريق ... ما أحلى تلك الأيام ! إن شقيقتك في صحة جيدة ، وشكراً لله ، فنحن مشتركان في عمل صغير . وأنا هنا من أجله ، ولكن ، ماذا بك؟ إنك تبدو كالجنازة . أمتزوج أنت ؟

فأجاب جيجي ميار في دهشة وشدة — كلا يا عزيزي !

— على أهبة الزواج ؟ — أمجنون أنت ؟ بعد سن الأربعين ؟ يا إلهي ؟ كلا . لم أفكر في ذلك مطلقاً .

— أربعون ! إنك تبدو في الخمسين أيها الصغير جيجي . ولكن ، لم لا ؟ لقد كدت أنسى أن وجه غرابتك هو في أنك لا تسمع ما يحدث — من الأجراس والسنين . خمسون يا صديق العزيز ، خمسون سنة ، أؤكد لك ذلك . لقد ولدت .. دعني أفكر .. في أبريل عام ١٨٥١ ، أليس كذلك ؟ ١٢ من أبريل .

وصاح ميار قائلا في لهجة من التأكيد — لا تؤاخذني ، في مايو . ولا تؤاخذني أيضاً عام ١٨٥٢ ، أترى أحسن مني ؟ ١٢ مايو سنة ١٨٥٢ ، وعلى ذلك فسني الآن ٤٩ سنة وبضعة أشهر

— وبلا زوجة ! هذا عظيم ! أنا متزوج ، ألا تعرف ؟ آه ، على ، إنها مأساة . سأجعل جانبيك ينفجران من الضحك ، وفي أثناء ذلك ، سأعتبر نفسي بالطبع ، مدعواً للغداء عندك . أين تأكل هذه الأيام ؟ ألا زلت تقصد مطعم باربا القديم ؟

وتعجب جيجي في دهشة بالغة وقال — يا إلهي ، أتعرف أيضاً أني أذهب إلى باربا ؟ أظنك كنت من رواده .

— أنا ، عند باربا ؟ ! كيف أكون هناك وأنا في بادوا ؟ لقد ملت وحمت عن ذهابك أنت والآخرين ، تقصدون — أيحق لي أن أقول الحانة ، أو المحل ، أو مكان الأكل ؟

فأجاب ميار — سيها الخانة ، أو ماشئت ، ولكن إذا كنت ستتناول طعام الغداء معي فلا بد أن أخبر الخادم بذلك .

— صغيرة ، أليس كذلك ؟

— أوه ، كلا ، عجوز يا صديق ، عجوز . فضلاً عن أني انقطعت عن الذهاب إلى باريا . ثم لم أتردد عليه منذ ثلاثة أعوام .

فأنت في سن معينة ... — بعد الأربعين

— بعد الأربعين ، يجب أن تتحلى بالشجاعة ، وتدبر طريقك للطريق الذي قد يؤدي بك إلى الهاوية . فإن أردت التردي — حسن ، فليكن ذلك ، على أن تنزلق في بطء ، في منتهى البطء ، وفي خفة ، محاذراً ألا تتدحرج ، أو تتعثر فتسقط . حسن ، هاقد وصلنا . سأطلعك على ما قلت به من عمل طيب بسيط لباري الصغيرة

وأخذ صديق جيجي ميار يردد قائلا وهو يصعد الدرج خلفه — في بطء ، في منتهى البطء ، وفي خفة .. عمل طيب بسيط .. دارك الصغيرة . مخلوق ضخم التكوين مثلك يتأنق ! مسكين أنت يا جيجي ! ما الذي فعلوه بك ؟ أحرقوا ذيلك ؟ أتود أن تترقرق عيناي بالدمع ؟

فقال ميار وهو ينتظر حتى تفتح الخادم الباب — حسن ، يجب أن تكون في وفاق مع وجودنا اللعين ، عند هذه المرحلة من السفر . دلل هذا الوجود ، تخلقه حتى بالتوافه ، وإلا جعلك تافهاً . إني لا أود بأية حال من الأحوال أن أجد نفسي مدفوناً في حفرة عمقها أربعة أقدام . لا ، لست أنا .

فقال الآخر يحاول أن يجادله في هذه النقطة — إذاً فأنت تعتقد في الرجل أنه حيوان من ذوي الساقين ؟ لا تقل إنك تعتقد ذلك يا جيجي الصغير ؟ أنا أعرف أية مجهودات أبذلها لأظل قائماً على قدمي . صدقني يا صديق ، لو تركنا الطبيعة تسير في طريقها لأصبحنا من ذوات الأربع . إن هذه المدينة اللعينة تهدمنا لو كنت من ذوات الأربع لأصبحت حيواناً متوحشاً جميلا ، ولرفصتك رفصات عديدة بسبب ما حدثتني عنه ، ولأصبحت بلا زوجة ، وبلا ديون ، وبلا هموم . أتريدني أبكي ؟

ودهش جيجي من حديث صديقه ، ذلك الذي هبط إليه من السحاب وجعل يتأمله وينقب في أركان ذهنه عن اسم ذلك الشيطان ، وكيف ومتى عرفه في باريا ، سواء في طفولته أو في دراسته الجامعية . واستعرض في مخيلته أصدقاءه الحميمين كل من كان يعهدهم في تلك الأيام ، دون أن يطابق أحدهم ملامح هذا الرجل . على أية حال ، أنه لا يجرؤ على سؤاله ، فقد كان يخشى أن يجرح شعوره بعد أن بدت منه كل هذه المودة . فعزم على أن يعرف الحقيقة عن طريق اللف والدوران .

ومكث الخادم مدة طويلة دون أن تستجيب إلى قرع الباب فقد كانت لا تتوقع أوبة سيدها سريعاً . وقرع الباب مرة أخرى وأخيراً سمع وقع أقدامها .

وقال لها ميار : ها أنذا قد عدت ثانية أيتها الفتاة العجوز — ومعي رفيق فاهتني به ، وانتبهي ، فلا يقبل مزاحاً مع صديق هنا ، صديق ذي الاسم الغريب ...

فقال الرجل وهو يضحك مما جعل المرأة لا تدري هل تشاركه ضحكه أو تعبس في وجهه : « إنسان متسلسل من تيس بقرنين ولحية ! » . ولا يميل أحد إلى التعرف بذلك الاسم الجميل ، اسمي أيتها الفتاة ! لقد جعل وجوه مدبري البنوك تلتوي ، والدائنين يترنحون . ما عدا زوجتي . كانت مسرورة به . إنه الاسم الوحيد الذي وهبته لها . ادخل يا جيجي ، ودعني أرى رياشك ومتاعك المسكين . .

وقاده ميار وقد خاب أمله من جراء فشله في معرفة اسمه ، وجعل يطلعه على شقته الصغيرة وغرفها الخمس ، وقد امتلأت بالرياش في عناية وترتيب . وزاد عذابه في غرفة الاستقبال عند ما سمع صديقه يتحدث في مودة كبيرة عن أشيائه العائلية ، ويتطلع إلى الصور القائمة فوق الموقد ويقول :

— وددت يا جيجي الصغير لو كان لي زوج أخت مثلك . لو عرفت أي وغد تزوجت أختي ؟

— أيعامل شقيقتك معاملة سيئة ؟

— كلا ، بل يسيء معاملتي أنا . لقد كان من المتعين عليه أن يساعدني في عسري . ولكن لا ، ليس هو الذي يعمل ذلك .

— أرجو المعذرة ، إني لا أذكر اسم زوج شقيقتك .

— لا داعي للاعتذار . إنك لا تذكره ؛ لأنك لا تعرفه . إنه لم يقدم إلى بادو إلا منذ سنتين . أتدري ما الذي فعله بي ؟ إن شقيقتك كان رؤوفاً بي ووعد أن يساعدني ، إذا قبل هذا التيس أن يهدل سنداني — ولكن صدقني ، لقد رفض أن يعمل ذلك . وشقيقتك ، مع أنه غريب ، قبل أن يأخذ مشكلتي بين يديه

وهو ساخط ناقم عليه . فلأخبرك عن سبب رفض زوج شقيقتي لقد كانت شقيقته سيئة الحظ فوقعت في شراك حبي . يا للفتاة المسكينة ! لقد سممت نفسها ...

فقال ميار : — توفيت ؟

— كلا ، لقد لفظ جوفها ما ابتلعته ؛ ولذلك شفيت . ولكنك تستطيع أن تدرك أنه أصبح من المستحيل على أن أطأ عتبة دار شقيقها بعد هذه المأساة . يا إلهي ألا نأكل ؟ أصبحت لا أرى من الجوع . أكاد أموت جوعاً كالذئب !

وعند ما كانا يتناولان الطعام على المائدة حمل جيجي ميار بدفعه عن طريق الثقة المتبادلة بين الأصدقاء ، على أن يحدثه عن أخباره في بادوا ، لعله بذلك يراق لسانه فيذكر اسمه على الأقل . وكان ضيفه إذ ذاك يزداد شيئاً فشيئاً . فقال له حدثني عن بعض أخبارك — كيف حال فالفيرد مدير بنك إيطاليا ، وزوجه الحسناء وشقيقتها الحولاء ، ألا يزالون في بادوا ؟

وإذا بصديقه ينفجر ضاحكا . فقال ماير في دهشة — ما الأمر؟ أليست شقيقتها حولاء ؟ فرجاه الآخر أن يكف عن أسئلته وقد ارتجف بدنه وتملكه نوع من التشنج من كثرة الضحك الذي كان يحاول كتمانه دون جدوى ، وقال له — أصمت لحظة ، بحق السماء ، أصمت . حولاء ؟ لم أكن أعتقد أنها كذلك . وذلك الأنف الشمع الذي ترى منه نصفها ! نعم إنها نفس المرأة .

— أية امرأة ؟ — زوجتي !

وشده جيجي ماير دهشة . ولم يبق له من قوته إلا ما يستطيع بها أن يتمتم ببعض كلمات الاعتذار . ولكن ظل الرجل صادراً في ضحكه أكثر من ذي قبل ، إلى أن هدأ أخيراً ، ثم عبس ، ثم أخذ نفساً عميقاً ، وأخيراً قال : — يا صديقي العزيز ، هناك في الحياة بطولة لا تستطيع حتى مخيلة الشاعر أن تتصورها .

فتنهد ماير قائلا : — نعم ، حقاً ، أنت على صواب ... إني أعرف ما ذا تعني .

فعارضه الآخر قائلا : — إنك لا تعرف شيئاً مطلقاً . أتعتقد أني أتوه عن نفسي ؟ أنا البطل . أنا لست إلا الضحية ! إن الشجاعة صفة نادراً ما تتحلى بها شقيقة زوجتي ، زوجة لوسيو فالفيرد اصغ لي قليلا . يا إلهي ما أغباك أيها الرجل !

— كلا ، أنا أنا ! في خداع نفسي بأن زوجة لوتشيو فالفيرد تعشقني ، للدرجة أنها تزوجت زوجها . ولكن ماذا تظنه حدث؟ مثال من الروح التي لا تبالي في سبيل التضحية ، كما سنسمع . دعتني ذات مرة إلى دارها ، وكان زوجها متغيباً . وعندما حدثت اللحظة الأولة التي توجسنا فيها سوءاً ، أخبأتني في حجرة شقيقتها السيدة الحولاء ، فاستقبلتني في حياء وخجل ، وبدت كأنها تضحي بنفسها في سبيل شرف أختها . ولم يكن عندي متسع من الوقت لأصيح .. ولكن يا سيدتي العزيزة ، انتظري لحظة . كيف يصدق لوتشيو ذلك . فقد اندفع لوتشيو غاضباً مزمجراً . وتخيل أنت الباقي .

فصاح ميار متعجباً — ماذا ؟ أنت ، بكل ما فيك من ذكاء؟

فقال الآخر — وديوني ؟ فقد رفض مدى بما يلزمني من المال . دعنا من ذلك الحديث أرجوك . على أية حال وازنت بين حقيقة كوني لا أملك فلساً ، وبين عدم رغبتي في الزواج ..

فقاطعه ميار قائلا : — ما ذا ؟ أتزوجتها ؟

— أوه ، كلا ، إنها هي التي تزوجتني . إنها هي التي تزوجت فقط . لقد حدثتها في ذلك وكلمتها بكل صراحة. قلت أيتها السيدة ، إذا أردت اسمي . حسن ، إذاً ، خذيه . إني أكاد لا أعرف ما الذي أفعل به ، أقسم لك . أكان هذا ؟

وجاز ميار قائلا : — إذاً فهذا ما حدث ؟ لقد كان اسمها فالفيرد ، ثم أصبح الآن ...

فضحك الآخر وهو يهب قائماً — تماماً .

وهتف جيجي ماير ، وقد أصبح لا يحتمل أكثر من ذلك وتمالك شجاعته بين يديه وقال : كلا ، اصغ ، لقد تحدثت معك بصباح طيب . وعاملتك كما لو كنت أخي . والآن يجب أن تقدم لي معروفاً .

— لعلك تود أن أقرضك زوجتي ؟

— كلا ، شكراً . أود أن تخبرني عن اسمك .

فسأله في دهشة وهو يطرق باسمه على صدره ، وكأنه يشك في وجوده — أنا ؟ اسمي؟ ماذا تعني؟ ألا تعرف ؟ ألا تستطيع أن تتذكر؟ فأجاب ميار مسترفقا في حياء — كلا ، أرجو المغفرة ، فمن أكبر رجل عديم الذاكرة في العالم . ولكني أكاد أقسم أني لم أرك مطلقاً .

— أوه ، عظيم جداً ، عظيم جداً ! يا عزيزي جيجي الصغير ، ضع يدك في يدي . إني أشكرك من أعماق قلبي على حسن

ضيافتك — ولكني سأذهب دون أن أخبرك . وهذا كل ما هنالك !

فانفجر جيجي ميار صائحاً وقد هب واقفاً على قدميه — ستخبرني ، عليك اللعنة ! لقد أرهقت عقلي طول الصباح ، ولن أدعك ترحل دون أن تخبرني .

فأجابه الآخر في هدوء وثبات — اقتلني ، قطعني إرباً ، ولكني لن أخبرك !

فأخذ ميار مرة أخرى بدل من لهجته وقال — كن رجلا طيباً . إني لم أجرب مثل هذه التجربة من قبل — فقدان الذاكرة — أنت تعرف . إني أقسم لك أنه شعور مؤلم . أخبرني عن اسمك بحق السماء . — ابحث عنه بنفسك .

— استمع إلي . إن ضعف ذاكرتي لم يمنعني عن السماح لك بالجلوس على مائدتي . وفي الواقع ، حتى إذا لم أكن أعرفك على الإطلاق ، فقد أصبحت الآن عزيزاً لدي . صدقني . إني أشعر بشعور الأخوة نحوك ، وأحب بك ، وأود أن تظل معي دائماً . أخبرني إذاً عن اسمك .

فقال الآخر في حزم — لا فائدة ترجى من ذلك . أنت تعرف أنك ستندمني إذا ما رحلت . كن عاقلا . أتود أن تحرمني من تلك اللذة التي لم أكن أتوقعها ، لذة تركي إياك دون ان تعرف من يكون صديقك ؟ كلا .. اذهب .. إنك تطلب الشيء الكثير . إني أرى جيداً أنك لا تملك أية ذاكرة نحوي . فإذا لم تكن تود أن تجرح شعوري بذلك النسيان ، فدعني أذهب كما أ

فصاح جيجي بتغضب عاصف — اذهب إذاً ، سريعا . كل ما أطلبه . إني لا أحتمل رؤيتك بعد الآن .

— حسن ، إني ذاهب . ولكن اسمح لي أولا يا جيجي الصغير .

فأجاب ميار صائحاً — إني أرفض ، إلا إذا أخبرتني . .

فقاطعه الآخر قائلا — كلا ، كلا ، هذا كل ما هنالك والآن .. إلى اللقاء . وذهب ضاحكا . والتفت إليه وهو يذهب في نزول الدرج ؛ وأرسل إليه قبلة في الهواء ...

محمد فتحي عبد الوهاب

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

دليل تليفونات الاقاليم طبعة سنة ١٩٤٩

يمكنكم أن تحجزوا الأماكن التي تختارونها الاعلان عن أعمالكم في دليل تليفونات الوجهين البحري والقبلي طبعة سنة ١٩٤٩ .

والإعلان في الدليلين المذكورين له مزايا خاصة إذ يتجدد كل يوم طوال مدة سريان الطبعة ويتداوله آلاف المشتركين وبه أماكن خالية تستطيعون استئجارها بأسعار زهيدة .

ولمزيد الايضاح اتصلوا :

بقسم النشر والاعلانات بالادارة العامة

بمحطة مصر

مطبعة الرسالة